Dia Iqbal Tabrani
111.5

الدكتور ناجي التكريتي
أستاذ الفلسفة بجامعة بغداد

الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية
عند مفكري الإسلام

7002

دار الأندلس
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

جميع الحقوق محفوظة

دار الاندلس - بيروت، لبنان
هاتف: ٣١٧١٦٢ - ٣١٦٤٠١ - ص.ب: ٤٥٥٣ ١١ - تلكس ٢٣٦٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

لا شك أن المسلمين في أول أمرهم اتجهوا إلى القرآن الكريم يتدارسونه ويسيرون على هدي القيم الأخلاقية التي أتى بها وإلى سُنَّةِ رسول الله ﷺ.

وبعد أن انتقلت الفلسفة اليونانية إلى المسلمين أضحت الفلسفة الأخلاقية الإسلامية مزيجاً من الآراء الفلسفية الوافدة ومن القيم الإسلامية السائدة.

إن تأثر فلاسفة المسلمين بالفلسفة اليونانية أمر بيّن. فلا نعرف فلسفة سواء كانت قديمة أم معاصرة إلا ولها جذور تاريخية قديمة ترتبط بها وتستقي من مبادئها إلى أن تهضمها ومن ثم تبدع فلسفة جديدة في ثوب جديد. وحتى الفلسفة اليونانية يمتد كثير من أصولها إلى الحضارات المصرية والبابلية والهندية.

على الرغم من أن مفكري الإسلام استمدوا الكثير من الفلسفة اليونانية إلا أنهم درسوها بعقلية إسلامية. وكل بحث عقلي درسوه لا بُدّ أن أساسه إسلامي وله طابعه الإسلامي الخاص لا سيما وأن الكثيرين من المسلمين كانوا يرون أن الحقيقة واحدة وأن الفلسفة تلتقي مع الدين لأن هدفهما مشترك وغايتهما واحدة. ولهذا نجد أهم ما يميز الفلسفة الإسلامية أنها فلسفة توفيقية بين الدين والفلسفة. فإن مفكري الإسلام يرون أن الوحي والفلسفة كلًّا منهما يقودنا إلى الحقيقة وأن النبيّ والفيلسوف يأخذان معرفتهما من مصدر واحد. ولهذا فالدين والفلسفة يسعيان إلى هدف واحد.

كان الرأي شائعاً بين أكثر مؤرِّخي الفلسفة أن فلاسفة المسلمين اتجهوا إلى أرسطو وتبعوا فلسفته وأخذوا عنه فقط ومن هؤلاء المستشرق رينان. كما أن

مونك يقول: إن العرب انتخبوا أرسطو وفضلوه على غيره لأن طريقته التجريبية كانت أقرب إلى نزعتهم العلمية من مذهب أفلاطون الخيالي ولأن منطقه كان سلاحاً نافعاً في الخلاف القائم بين المدارس المختلفة.

الحقيقة أن هذا الحكم فقد أهميته كثيراً لا سيما إذا علمنا أن الفلسفة الإسلامية ليست مقصورة على الفلاسفةالمشّائين كالفارابي وابن سينا وإنما يدخل في نطاقها المتكلمون والمتصوفة والفقهاء.

وحتى بين فلاسفة المسلمين سنجد تياراً أفلاطونياً يسير بجانب التيار الأرسطاليسي لا يقل عنه قوة وأهمية. وسنجدَ الفلاسفة المعروفين في الإسلام بالفلاسفة المشّائين يبتعدون عن أرسطو ويسيطر عليهم أفلاطون في آرائه الأخلاقية والسياسية.

إن أول مفكر ومؤرخ فلسفة بيَّن أثر أفلاطون في الفلسفة الإسلامية هو الشهرستاني، ولكنه لم يذكر أن آراء أفلاطون تمثلها مدرسة إسلامية خاصة بل كان الشهرستاني يرى أن بعض الفلاسفة المسلمين يبدو في آرائهم مذهب أفلاطون.

أما في العصر الحديث فيرجع فضل الكشف عن المدرسة الأفلاطونية في الفلسفة الإسلامية إلى المستشرق الألماني بينيس الذي أوضح أن الفلاسفة المتأثرين بأفلاطون كانوا يدعون بأصحاب الهيولى وهم القائلون بهيولى قديمة مطلقة وهم تلاميذ مباشرون لأفلاطون.

أما أول باحث عربي حديث تنبه إلى وجود مدرسة أفلاطونية تقابل المدرسة الأرسطاليسية فهو المرحوم محمود الخضيري.

المهم أن المسلمين عرفوا أفلاطون كما عرفوا أرسطو وأن أفلاطون نفذ في معظم المدارس الإسلامية الفلسفية وأثَّر فيها، رغم أن هناك مدارس كانت أفلاطونية خالصة كمدرسة أبي بكر الرازي ومدرسة السهروردي الإشراقية من الذين كانوا يرون أفلاطون رئيسهم وإمامهم.

والحقيقة أن أفلاطون كان أقرب إلى الروح الإسلامية فهو يقول بخلود

الروح ويدعو إلى السيرة الفاضلة وإلى التشبه بالله ويرمي إلى العدالة سواء في الإنسان كفرد أو في الدولة كجماعة لها مصالح مشتركة.

سأبين في بحثي هذا أثر النظريات الأخلاقية الأفلاطونية عند المسلمين. وقد قسمت البحث إلى اثني عشر فصلاً.

أفردت الفصل الأول للأخلاق الأفلاطونية داخل نطاق الفلسفة اليونانية وتأثر أفلاطون بمن سبقه من الأورفيين والفيثاغوريين بالإضافة إلى أثر أستاذه المباشر سقراط. كما بينت آراءه الأخلاقية في الإنسان والسياسة.

الفصل الثاني خاص بفلسفة أرسطو الأخلاقية.

والفصل الثالث خاص ببعض المدارس الأفلاطونية غير الإسلامية، التي تنتشر داخل الرقعة الإسلامية، والتي لها أثر كبير على مفكري الإسلام.

أما الفصل الرابع فقد أدرجت فيه الطرق التي نفذ بواسطتها أفلاطون إلى العالم الإسلامي.

والفصول الثمانية الباقية بحثت أثر أفلاطون في مختلف المدارس والاتجاهات الفكرية:

الفصل الخامس خاص بأخلاقيات ابن المقفع وكيف أنه كان يدعو إلى الفضيلة وإلى إقامة دولة تسودها العدالة.

وفي الفصل السادس ذكرت أثر أفلاطون في مدرسة الكندي وكيف أن الكندي أول المشائين في الإسلام لم يخل من أثر أفلاطوني، بالإضافة إلى أن بعض أعضاء المدرسة الكندية كانوا أفلاطونيين خالصين كأبي بكر الرازي.

والفصل السابع أفلاطون في مدرسة السجستاني، فرغم أن أكثر أعضاء المدرسة اشتهروا كمناطقة: كالسجستاني ويحيى بن عدي والبعض الآخر اشتهروا كأدباء مثل أبي حيان التوحيدي. ولكن مع هذا سنجد أفلاطون يعيش في دوائرهم.

وسنرى في الفصل الثامن أن أفلاطون يخترق جدار المدرسة المشائية

العتيدة، وأن مشائي الإسلامي سينجذبون إليه بشدة لا سيما نحو أفكاره عن النفس وآرائه السياسية والأمور الأخلاقية الأخرى كالفضيلة والسعادة والتشبه بالله.

والفصل التاسع عرضت فيه أهم المدارس الإسماعيلية، وكيف أثر أفلاطون بأفكاره فيهم، لا سيما الآراء الاشتراكية.

أما الفصل العاشر فيتعرض لدخول أفلاطون مدارس الفقهاء، فهذان داود الظاهري وابن حزم يؤلف الأول كتاب الزهرة والثاني طوق الحمامة وكلا الكتابين في الحب والمحبوب. وإن كثيراً من آرائهما أفلاطوني واضح، أما ابن قيم الجوزية في كتاب الروح فتبدو فيه الآثار الأفلاطونية واضحة.

والفصل الحادي عشر أوضحت فيه أثر أفلاطون عند المتكلمين. هذه المدرسة التي تعتبر مدرسة إسلامية خالصة تعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية وتخضع الفلسفة للعقيدة فإنها تأثرت بأفلاطون كثيراً على اختلاف مدارسها من أشاعرة ومعتزلة وشيعة إمامية.

والفصل الثاني عشر والأخير خاص بالتصوف وأن المتصوفة على اختلاف مدارسهم كانوا يرون أفلاطون شيخهم الأكبر ومعلمهم الأول.

أما بعد فهذا عرض مختصر لما سأقدمه في رسالتي هذه. إن هذا أول بحث أقوم بكتابته فإن أصبت حيناً فربما أكون قد أخطأت أحياناً وآمل أن يكون هذا البحث بداية لما أنوي عمله في المستقبل سواء تحت قبة الجامعة أم داخل نطاق تيارات الحياة؛ والكمال لله وحده

دكتور ناجي التكريتي
جامعة بغداد

الفصل الأول

ملامح الأخلاق الأفلاطونية في الفلسفة اليونانية

(١) الأخلاق قبل أفلاطـون

لم تكن الأخلاق قبل العصر الأفلاطوني ـ وأعني قبل أفلاطون وأستاذه سقراط ـ علمًا بالمعنى المفهوم، وإنما كانت توجد أنماط من الحكم على أفواه الفلاسفة والمفكرين والشعراء، كالحث على عمل الخير واطراح الشر والتحقير من شأن الجسد. وقد يتخلل ذلك الكثير من الأساطير والأفكار الغريبة كـأشعار هوميروس في قصيدتي الألياذة والأوديسـة، التي لم تخل من أفكـار أخلاقيـة، كالإحساس بعاطفتي الخير والشر والإشادة بالفضائل كالشجاعة والصبر والرحمة. وكذلك الشاعر هزيود، فنرى أفكاره مليئة بصور الحكمة والإشادة بالعدالة، بالإضافة إلى كثير من الأفكار الأخلاقية وديوانه (الأعمال والأيام) مملوء بالحكم التي تدور حول فكرة العدالة فمن ذلك قوله: «من يضر غيره يجلب الشر على نفسين، عين زوس تبصر كل شيء. إذا كان الذي يربح الدعوى هو الأكثر صلاحاً فمن المضر أن يكون المرء صالحاً. ولكني لا أعتقد أن يكون زيوس الحكيم قد صنع مثل هذا، إن ساعة العقاب آتية لا محالة»[١].

كذلك الحكماء السبعة، الذين كان هدفهم إصلاح الأخلاق وإن اختلف في عددهم وأسمائهم، بالإضافة إلى الأفكار الأخلاقية التي نجدها عند الفلاسفة الطبيعيين الذين سبقوا سقراط حيث نجد تفكيرهم مطبوعاً بالطابع الأخلاقي إلى أبعد الحدود، فنجد أن طاليس يقول: إن كل شيء خاضع للضـرورة، أما انكسمندريس الذي يقول: إن الوجود نشأ من الانفصال أو الابتعاد من حيث إن نوعاً من النزاع قد نشأ في الوحدة الأولى، فأصل الوجود عنده هو هذا العامل

(١) يوسف كرم ـ تاريخ الفلسفة اليونانية ـ ص ٥، دكتور محمد يوسف موسى ـ تاريخ الأخلاق، ص ٤٤.